مكانة التاريخ في الثقافة الإسلامية

د. عمر بن محمد
عمر عبدالرحمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكَانَةُ التَّاريخِ
فِي الثقافَةِ الإسلاميَّةِ

د. عمر محمد عمر عبدالرحمن
غفرَ الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمةٌ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ عَلَى أشرفِ المرسلين، وَعَلَى آله وصحبه والتابعين.

أَمَّا بعدُ ..

فَإِنَّ التاريخ هو الكنز الثمين الذي يحفظ للأمة مدخراتها فى الثقافة والعلم.

وهو الذي يمدها بالحكمة في كل زمانٍ ومكانٍ تجاه تقلّب الأحداث.

وهو المفتاح لمغاليق المشكلات المعقدة والمعرقلة لكل نهوضٍ أو إصلاحٍ.

وهو المدخل المأمون للقوانين والسنن التي تعين علي حل تلكَ المشكلات.

كمَا أَنَّه المنبع الذى تخرّجت منه جميع العلوم الإجتماعيَّة؛ لأنَّه المختبر الحقيقي الذي يمكن أنْ تُقاس به وفيه مدى فاعلية المبادئ والقيم والفلسفات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو لم يكن للتاريخ هذا البُعد لَمَا استحق أنْ يكون علمًا، ولما استحق أنْ يكونَ مصدرًا للعبرة في كل زمانٍ ومكانٍ وشأن، ولما أمكن الإفادة منه لغير زمانِهِ، ولَمَا جازَ أن يترتب على الفعل التاريخيّ أيَّة مسؤولية، ولَمَا استطاعَ أنْ يُضيفَ إلى أعمارنَا عمرًا، وإلى عقولنا عبرًا تغذّيها.

ولا يجادل عاقل في أنَّ تاريخ الأمة (أي أمة) يُؤثّر في بناء مستقبلها كما يؤثّر في حاضرها وواقعها؛ لأنَّه ذاكرة الأمة، وبقدر ما تسلم له وتحسن التعامل معه تقوي شخصيتها وتبرز قدراتها، ويمتد تأثيرها في غيرها، وبقدر مَا تضعف ذاكرة الأمة أو تسيء الأمة التعامل مع تاريخها تذبل وتمحى شخصيتها ويظهر ضعفها ويقل وزنها بين الأمم، حتّى تكون دائمًا متأثّرة بغيرها (غير مؤثرةٍ فيه!).

إنَّ الأمة (أي أمة) لا تشعر بذاتها وشخصيتها الحاضرة على الوجه الصحيح إلَّا إذا كانَ لها تاريخ، تمامًا كالفرد الذي لا يشعر بكيانِهِ إلَّا من خلال ذاكرته.

وفي هذا يقول العلَّامة ابن خلدون رحمه الله: «إنَّ التاريخ فن تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرجال.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتسمو إلي معرفته السوقة والأغفال. وتتنافس فيه الملوك والأفيال.....، فهو لذلك أصيل فى الحكمة، عريق وجدير بأنْ يُعدَّ فى علومها وخليق»[١].

ففقه التاريخ (ماضيًّا وحاضرًا) ضرورة لكلِّ أمة تريد أنْ تبقى، ويبقي لِهَا دور، وهو للأمة الإسلاميَّة –بالإضافة إلى ما سبق– شرط من شروط وجودها وحياتها واستمرارها وقيادتها لأمم الأرض، حيثُ إنَّ تاريخها هو تاريخ جميع الشعوب والمجتمعاتِ الإسلاميَّة (منذ دخلها الإسلام حتَّى يوم النَّاس هذا، وإلي مَا شاء ربُّ النَّاسِ)، فهو تاريخٌ ممتد زمانًا طول القرون التى تربو على الأربعة عشر قرْنًا، ممتد مكانًا سعة الرقعة المكانيَّة التي يشغلها من المحيط الأطلسي إلي المحيط الهادي.

فهو تاريخ عريق بعراقة الإسلام، ومن خِلال استقرائه تُعرَفُ السنن الفاعلة فى الحياة، وتطوى مسافة الزمان والمكان، وتوجّه أبصارنَا إلى أفق المستقبل، ويمنحنَا الحكمة والقدرة على

---

[١] المقدمة – ابن خلدون – ص ٩.

[٢] راجع: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ – الحافظ السخاوي (ص١٧).

[٣] راجع: المفصل فى تاريخ العرب – د/ جواد علي، (ج٨، ص٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهم والموازنة والتحليل والتعليل لكلِّ الأحداث التى تواجهنَا فى كُلِّ زمانٍ ومكانٍ.

لِذلَك اعتبرَ القرآن الكريم التاريخَ مصدرًا للمعرفة، ودَعَا إلى السير فى الأرض؛ لاستيعابِ التاريخ (ماضيًّا وحاضرًا)، بل استنكرَ الركود والجمود وعدم السعى والاستكشاف الحضاري، فقالَ تعالي: ﴿**أَوَلَمْ يسيروا فى الأرضِ فينظرواْ كيفَ كَانَ عاقبةُ الذينَ من قبلهم كانواْ أشدَّ منهم قوَّةً وأثاروا الأرضَ وعمروهَا أكثرَ مِمَّا عمروهَا وجاءتهم رسلهم بالبيناتِ فَمَا كانَ الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمونَ**﴾ [الروم/٩].

والحمدُ لله رب العالمين.

أبو صهيب **عمر محمد عمر عبدالرحمن**

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول:

مفهوم التاريخ وفوائده

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأوَّل:

مفهوم التاريخ

- **الفرع الأول: مفهوم التاريخ لغةً:**

تعددتْ آراء العلماء في تفسير كلمة التاريخ لغةً واشتقاقها، غيرَ أنَّ كل الآراء تعني أنَّ: «التاريخ هو الإعلام بالوقتِ».

يُقال: أرختُ الكتابَ وورخته، أي بينتُ وقت كتابتِهِ.

وقيل: إنَّه معرّب من الكلمة الفارسيَّة: (ماه روز). و(ماه) القمر، و(روز) اليوم، وكأنَّ الليل والنهار طرفَه.

وقيلَ: إنَّ (تاريخ) مشتق من (ياريخ) —العبريَّة—، ومعناها القمر، و(يرخ) ومعناها الشهر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيلَ: إنَّ (تاريخ) مشتق من اللفظ الآكدي (أرخو)[٢].

وقيلَ: مأخوذٌ عن عرب اليمن؛ لأنَّهم اهتموا بالتوقيت، لعدّة عوامل منها الزراعة التى تخضع لتقلباتِ الجو ولتبدل المواسم، ومنها الأعياد والشعائر الدينيَّة، التى لَهَا ارتباط وثيق بضبطِ الأوقات، ومنها التجارة فى البر والبحر[٣].

ويُستدل على صدق هذا الاحتمال بِمَا قاله الحافظ السخاوي ﷺ: «إنَّ أَوَّل من أرَّخ يعلي بن أميَّة. وذلكَ أنَّه كتبَ إلى عمر بن الخطاب كتابًا مِنَ اليمن مؤرخًا فاستحسنَه عمر»[٤].

وكون لفظ (التاريخ) أصيل فى اللغة العربيّة، وليسَ منقولاً إليها من لغاتٍ أخري هو الأقرب إلى الصواب. لأنَّه لو كانَ هذا اللفظ معرّبًا مَا اختلف حول أصل اشتقاقه أو من (أرخ) أو من (ورخ)؟! ولما كانَ الاختلاف قائمًا حول أصلهِ

---

[٢] راجع: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ – الحافظ السخاوي (ص١٧).

[٣] راجع: المفصل فى تاريخ العرب – د/ جواد علي، (ج٨، ص٢).

[٤] الإعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص١٣٤)، وراجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري – الحافظ ابن حجر (ج١٦ ص١٦٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بينَ القبائل العربيّة، ولما فرّق الأصمعيُّ بينَ لغة تميم وقيس، بقولِهِ: "بنو تميم يقولونَ: (ورخت الكتاب توريخًا) وقيس تقول: (أرخته تاريخًا)".

وهذا الاختلاف يؤكد كون لفظ (التاريخ) عربيًّا[٥].

ويتضح من هذا كله أنَّ الكلمة قد أثارت جدلاً بينَ القدامي حول أصلها، وربما كان السبب فى ذلك كون كلمة (تاريخ) لم ترد فيما وصلَ إلينا من الشعر الجاهليّ. كما أنَّها لَم ترد فى كتاب الله ﷻ ولا فى حديث رسولِ الله ﷺ[٦].

- **الفرع الثاني: مفهوم التاريخ اصطلاحًا:**

إنَّ التاريخ عبارة عن فهم الماضي لإفادة الحاضر، والتخطيط للمستقبل.

وقد عبَّرَ السخاوي رحمه الله عن هذا المعني بقوله:-

---

[٥] الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – السخاوي (ص١٠٠).

[٦] أدب التاريخ عند العرب – عفت مُحَمَّد الشرقاوي – (ج١ ص٢٤٩) ط. القاهرة ١٩٧٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«إنَّه فنٌ يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيف بل عَمَّا كانَ فى العالمِ»[٧].

وعرَّفه ابن خلدون رحمه الله بقوله:-

«التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس والعصبيَّات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعضٍ، ومَا ينشأ عن ذلكَ مِنَ الملك والدول ومراتبها. ومَا ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعايش والعلوم والصنائع وسائر مَا يحدث من ذلك العمران من الأحوال»[٨].

«وهو فى ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيَّام والدول والسوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتؤدّى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بِهَا الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمروا فى الأرض حتَّى نادَى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفى باطنهِ نظر وتحقيق

---

[٧] الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – للسخاوي (ص١٠٠).

[٨] مقدمة ابن خلدون ص٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتعليل للكائناتِ ومبادئها، وعلم بكيفيَّاتِ الوقائع وأسبابها عميق»[٩].

هكذا يُعرف ابن خلدون التاريخ بأنَّه فى حقيقة أمره نظر وتحقيق، أى تأمل ودراسة وفحص مختلف أوجه النشاط البشري فيما مضى من العصورِ، بقصد رصد أسباب الظواهر التاريخيَّة المختلفة، ومحاولة كشف جوانب العلاقة السببيَّة فى طيَّات الأحداث التاريخيَّة، ورصد بدايات الأحداث ومعرفة أصولها.

ويخلص ابن خلدون من هذا إلى أنَّ التاريخ أصيل في الحكمة وعريق، ولما كانتْ الحكمة أسمي مراتب المعرفة، فإنَّ ابن خلدون قد فهمَ التاريخَ باعتبارِه ضرورة حضاريَّة لفهم الإنسان من خِلالِ تاريخه، فما الحكمة سوي المرتبة العليا فى مجال المعرفة، والمعرفة الحقة هى معرفة الإنسان بذاتِهِ[١٠].

كذلك يمكن أنْ يكونَ التاريخ –فى رأي ابن خلدون– أداة للكشفِ عن صراعات المجتمعات البشريَّة، وما

---

[٩] مقدمة ابن خلدون (ص٩).

[١٠] الرؤيَّة الحضاريَّة للتاريخ (ص١٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يترتب على ذلك من قيام الدول المختلفة، وما ينشأ عن ذلكَ من الدول ومراتبها. كمَا أدْرَك ابن خلدون أهميَّة البيئة فى صياغة التاريخ باعتبارها مسرحًا للتاريخِ.

والتاريخ بهذا المفهوم –الذى أبرزه ابن خلدون– يعتبر استكشافًا كُليًّا لتطور أحوال البشريَّة منذ بداية الخليقة، ومحاولة لحلِّ اللغز المتعلق بالوجود البشري، فى الكون فضلاً عن مصير الإنسان فى الحاضر والمستقبل.

هذه حدود المعنى الاصطلاحي الذى تدل عليه كلمة (تاريخ) وهى تكشف عن مدي فهم المسلمين للتاريخ كعلم، وعن مدي إدراكهم لوظيفتهِ الحضاريَّة فى خدمة المجتمع البشري[١١].

وهكذا؛ من خلال التعريف يتضح لَنَا أنَّ (التاريخ) علم يتعلق بالمكان والزمان بِمَا فيه من وقائع وأحداث، ومَا يكون لها من أثرٍ فى حياةِ النَّاسِ.

* * *

[١١] المصدر السابق (ص٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني:

فوائد التاريخ

إنَّ للتاريخِ فوائد جمة، إذْ هو سجل لأحداث الحياة الإنسانيَّة وتقلبها بأهلها. منه يأخذ الإنسان العبرة والعظة والدرس والتجربة التي توقفه على أحوال الغابرين أفرادًا ومجتمعين. فبِهِ يري الإنسان بعينِ بصيرتهِ كيف تعمل سنن الله تعالى فى المجتمعات، بلا محاباةٍ ولا جوْر ؟!

كيفَ ترْقى الأمم وتهبط ؟!

كيفَ تقوم الدولة وتسقط ؟!

كيفَ تنتصر الدعوات وتهزم ؟!

كيفَ تحيا الحضارات وتموت؟![١٢].

---

[١٢] انظر: ثقافة الداعية، أ.د/ يوسف القرضاوي (ص١٠٢)، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١١ – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكل مَا يصلح الإنسان بِهِ أمر معادهِ ودينهِ ومَا يصلح بهِ أمرَ معاملاتِهِ ومعاشه الدنيوي، وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها وأشباهها أبدًا فى العالم.

التاريخ غزير النفع، كثير الفوائد، بحيث يكون مَنْ عرَفَه كمن عاشَ الدهر كله، وجرَّبَ الأمور بأسرها، وباشر تِلكَ الأحوال بنفسهِ، فيغزر عقله، ويصير مجربًا[١٣].

ويؤكد العلَّامة ابن خلدون فوائد التاريخ وفلسفتِهِ بأنَّه فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوالِ الماضين مِنَ الأمم في أخلاقهم، والأنبياء فى سيرهم، والملوك فى دولهم وسياساتهم، حتَّى تتم فائدة الاقتداء فى ذلكَ لِمَن يرومه أحوال الدين والدنيا[١٤].

وعلى هذا فالتاريخ له فوائده الدينية والدنيوية والأخرويَّة التى تنفع المرء فى عاجل أمره وآجلهِ.

* * *

---

[١٣] الإعلان بالتوبيخ لِمَن ذم التاريخ – السخاوي (ص٣٢).

[١٤] انظر مقدمة ابن خلدون (ص١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني:

بداية التاريخ الإسلامي، ومدى اهتمام المسلمين بفلسفة التاريخ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأوَّل:

بداية التاريخ الإسلامي

بَدأَ هذا العلم فى الإسلام، بدراسة السيرة النبويَّة الشريفة، ومغازي الرسول ﷺ حتَّى كانَ للصحابةِ الكرام ﷺ عناية بمغازي النبيِّ ﷺ وسراياه، وكانوا يحثونَ أوْلادهم على حفظهَا، فهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ يعلم بنيهِ سيرةَ النبيِّ ﷺ ومغازيه وسراياهُ، ويقول لَهَ: «هذا شرفُ آبائكم، فلا تنسوا ذكرها»[١٥].

ثُمَّ الاهتمام بالصحابة والتابعين كمصدر للكتابات التاريخيَّة وَمَا ورثه العرب بعد الإسلام من أخبار الجاهليَّة وقصص الأيَّام والأنساب.

وعلى هذا فعلم التاريخ الإسلاميّ-فى بدايتِهِ- امتزَجَ بعلمِ الحديث (من حيث الموضوع، ومن حيث المنهج).

---

[١٥] الثقافة الإسلاميَّة، مُحَمَّد راغب الطباخ، (ص٣٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والموضوع= كانَ السيرة النبويَّة الشريفة-بكل تفاصيلهَا- ومغازي المسلمين وسيرهم.

وأمَّا المنهج= فهو العنايَّة بذكر الرِّجال والرواة والأسانيد، وتوثيق الرواية عندَ سرد كلّ خبر.

وَمِنْ هُنَا يُعد المحدثون روَّاد الدراسة التاريخيَّة عنْدَ المسلمين(١٦).

وفى مقدّمة هؤلاءِ المحدثين المؤرخين: أبان بن عثمان بن عفان(١٧)، وعروة بن الزبير بن العوام(١٨).

---

(١٦) انظر: أُسس مفهوم الحضارة فى الإسلام – سليمان الخطيب (ص٤٠) –بتصرف.

(١٧) أبان بن عثمان بن عفان الأموي، كانَ من فقهاء التابعين، أمير المدينة، وهو أوَّل من كتبَ فى السيرة النبويَّة، ويُعد أوَّل مؤرخ فى الإسلام، أمه: أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسي. مولده ووفاته فى المدينة. وشارَكَ فى موقعة الجمل. وتولى إمارة المدينة فى عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ وأُعفى منها فى عهد يزيد بن عبد الملك سنة ٨٣ هـ ، دوَّنَ مَا سمعَ من أخبار السيرة والمغازي، وسلَّمَها إلى سليمان بن عبد الملك فى حجِّهِ سنة ٨٢ هـ فأتلفهَا سلمان. ورُوي عنه أنَّه كانَ يحب المرح والدعابة (دونَ أن يُقلل ذلكَ من مكانته واحترامه)، وتوفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ – ٧٢٣م.

(١٨) عروة بن الزبير بن العوَّام الأسدي القرشي، تابعي، وُلِدَ فى آخر خِلافة عمر بن الخطاب ﷺ، أبوه الزبير بن العوَّام-حواري رسول الله ﷺ، عاشَ فى المدينة، وكانَ عالما كريمًا، تفقه على يدِ خالتهِ أم المؤمنين السيدة عائشة ﷺ ، ويعتبر أحد فقهاء المدينة السبعة فى عصره، عاشَ لفترة من حياتِه فى البصرة ومصر، وتوفى فى المدينة المنورة، وكانَ=

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مراحل التاريخ الإسلاميّ

مرَّ التاريخ الإسلاميّ بمراحل كثيرة أثرت فيه، أهمها ثلاث مراحل:

المرحلة الأولي: مرحلة الأصالة والاستقلال التام.

وكَانت هذه المرحلة يعتمد المؤرخون فيها على السماعِ (أكثر مِنْ غيره) ممن شهِدَ الوقائع التاريخيَّة المختلفة، وتميَّزَ المؤرخونَ-فى هذه الفترة- بتسجيل الواقائع كما تلّقوهاَ دونَ أي زيادةٍ أو نقصٍ، بعيدًا عن العصبيَّات ونحوهَا من العوامل التي أثَّرت على بعض المؤرخين فيما بعد.

المرحلة الثانية: مرحلة التأثّر بالقصص والأساطير التي شوهته وكدرت صفوه.

=من أشهر علماء مدرسة الحجاز (وتسمي مدرسة المدينة – أو مدرسة الأثر)، وسبب هذه التسميَّة أنَّ اعتماد مدرسة الحجاز فى ذلك الوقت كانَ على الأحاديث والآثار غالبًا، بسبب كثرتهَا عندهم، ولقلة المسائل الحادثة فى المجتمع الحجازي-فى ذلكَ الوقت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد دخلت هذه الأساطير عَن طريق المفسرين عندَ كلامهم عَن الأمم السابقة فى القرآن الكريمِ، ومَا وردَ من أخبارهم. ولَمَّا لَم يجدوا تفصيلَ ذلك فى القرآن الكريم التمسوه فيما رُوي مِنَ الكتبِ الدينيَّة المتداولة بينَ اليهود والنصاري. وفى الحكاياتِ التى كانَ يتناولَها الفرس والإغريق وغيرهم ممن دخلوا فى الإسلام، وساعَدَ على ذلكَ دخول طائفة من أهل الكتاب فى الإسلام واشتغالهم بالعلومِ الدينيَّة، فَلَمَّا وجدوا مَا اقتبسه المسلمونَ من كتبهم وضعوا مَا عندهم من أساطير فى كتب التفاسير. وسمي ذلكَ-فيما بعد- بالإسرائيليَّات. وكانَ هَم المؤرخين-فى هذه المرحلة- جمع المادة التاريخيَّة من مصادرهَا البشريَّة أو غيرها، وتتبع سلاسل الرواة (دونَ عناية بالنص المروي)، أي أنَّ التاريخ عندَ مؤرخي هذه المرحلة ليسَ إلَّا ضبطًا للمرويَّات، وتوثيقًا للنصوص، وبحثًا فى الأسانيد، قبلَ أَنْ يكونَ نظرًا فى متنِ المنقول.

المرحلة الثالثة: مرحلة النقد والتمحيص.

فقد جاء طبقة من المؤرخينَ أدْركوا خطورة الإسرائيليَّات، فحاولوا تنحية مَا أصاب التاريخ من غبش

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وظلام، حتَّى كانَ المؤرخونَ -فى هذه المرحلة- لا يعنونَ بجمع المادرة التاريخيَّة بقدرِ مَا يعنونَ بنقد وتمحيصِ ما دوَّنَهُ السابقونَ فى المرحلة الثانيَّةِ. فهاتانِ المرحلتانِ مكملتانِ لبعضهما، وتمثلانِ حلقةٍ واحدةٍ فى التاريخِ الإسلاميّ.

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني:

اهتمام المسلمين بفلسفة التاريخ الإسلامي

يرْجع اهتمام المسلمين بفسلفةِ التاريخ إلى عدَّة عوامل، منها:-

١) دعوَّة القرآن الكريم لدراسة أَحوَالِ السابقين (أفرادًا ومجتمعين) للعظةِ والاعتبارِ.

٢) اهتمام المسلمين بالسيرة النبويَّة الشريفة (قولاً وفعلاً وتقريرًا).

٣) اهتمام المسلمين بالأنساب وتسلسلها.

٤) مَا تيقنَّه المسلمونَ من أهميَّة التاريخ فى بناء الأمم والمحافظة على هويتهَا وشخصيتها، فهو جذور الأمة التى تضرب بها فى الأعماق، فلا تعصف بِهَا الأنواء، وهو ذاكرة الأمة التى تعى بِهَا ماضيها، وتفسر وحاضرهَا، وتستشرف مستقبلهَا. وهو أيْضًا عرْض الأمة وشرفها، يجب المحافظة عليه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مثل قوم أضاعوا تاريخهم * كلقيطٍ عى فى الحى انتسابًا[١٩]

لِهذه العوامل وغيرها، أصبحت نظرة المسلم إلى التاريخ لا تؤدّى إلى نتائج نظريَّة فحسب. بل إى نتائج تطبيقيَّة تتصل بسلوكِهِ فى حياتِهِ، وتحدد مواقفه أمامَ الأحداث، وبالتالي أمام المشكلات التى تنجم عنهَا[٢٠].

---

[١٩] المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ – أ.د/ عبد العظيم الديب (ص٥٥) كتاب الأمة – رقم ٢٧.

[٢٠] تأملات – مالك بن نبي (ص١٢٦) طبعة دار الفكر – دمشق ١٩٨٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث:

جهود المؤرخين المسلمين في فلسفة التاريخ

اهتمَّ المؤرخونَ الأولون (كابن جرير الطبريّ وغيره) بالجمعِ، وتركوا للاحقين مهمَّة النقدِ والتمحيصِ.

ثُمَّ تطوَّر علم التاريخ عند المسلمين، وبدأ بعضهم يتحرر مِنَ الالتزام بمنهجِ الرواية فقط، فقد يهملونها إهمالًا، وقد يلجأونَ إليهَا حينَ تثبت لهم الأسانيد، كما بدأوا بتطلعونَ إلى المعاينةِ، ومراجعة المصادر والوثائق في مصادرها الأولي، مع الاهتمام بمعني التاريخ، والتجربة الشخصيَّة، والملاحظة المباشرة، والبحث العقلي المنهجي في المادة التاريخيَّة المدروسة، والتوسع الثقافي في مفهوم التاريخ، وربط الأسباب بمسباتها، وربط الأحداث والظواهر الإجتماعيَّة في كُلٍّ واحد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول العلَّامة السخاوي: «إنَّ التاريخ يلتحق بِهِ مَا يتفق بِهِ مِنَ الحوادث والوقائع الجليلة. والحاصل أَنَّه فن يبحث عَن وقائع الزمان فى العالم»[٢١].

وكانَ فى مقدمة السالكين للمنهج الجديد فى دراسة التاريخ: **أبو الحسن المسعودي، وابن خلدون.**

أولاً: أبو الحسن المسعودي[٢٢] "هيرودوت العرب". وقد نقَّبَ بكتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) فى تواريخ المسلمين واليهود والرومان والهنود وغيرهم. ونهجَ منهجًا جديدًا فى دراسة التاريخ على (المنهج الموضوعي) بعدَ أنْ كانَ سائدًا (نظام الحوليات)، وكان يعني بأثر المناخ والبيئة الجغرافيَّة فيما يُناقش من قضايا التاريخ. وقد جمعَ منَ الحقائق التاريخيَّة والجغرافيَّة مَا لم يسبقه أليه أحد[٢٣].

---

[٢١] الإعلان بالتوبيخ – الحافظ السخاوي (ص١٨، ١٩).

[٢٢] هو على بن الحسن بن على أبو الحسن المسعودي، من ذريَّة عبد اللهِ بن مسعود، وهو مؤرخ رحالة بحاثة من أهل بغداد ، وأقامَ بمصر، وتوفى بِهَا سنة ٣٤٦ هـ .

[٢٣] العرب تاريخ وحضارة – آنتوتى ناتنج – تحقيق: محمود مسعود (ج١ ص١١٧) طبعة الهلال – مصر ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م، وانظر أُسس مفهوم الحضارة فى الإسلام – سليمان الخطيب (ص٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: ابن خلدون[٢٤] "فيلسوف التاريخ، ومؤسس علم الإجتماع".

وقد جَاء ابن خلدون شارحًا وممحصًا ومعللاً وناقدًّا لآراء كل مَنْ سبقوه (كابن هشام، وابن إسحاق، والواقديّ، والبلاذري، وابن عبد الحكم، والطبري والمسعودي، وابن الأثير، والجرجاني، وابن الكلبي والبيلي[٢٥])، حيثُ كانَ التاريخ قبلَ العلَّامة ابن خلدون فنًا مِنْ فنون الأدب، ولونًا من ألوان الكتابة الإنشائيَّة، يعنى فيهِ بجمالِ السرد وانتقاء العبارة وتزين اللفظ وتنميق الكلام، ثُمَّ سرد الأحداث التاريخيَّة كما وقعت-أو كما تصورهَا صاحبهَا- [فى سنة كذا، حصل كذا وكذا مِنَ الأحداثِ، ثُمَّ دخلت سنة كذا، فحدث غيرها أو مثيلهَا] وهو نمطٌ لا يكاد يتغير فى كتب التاريخ إِلَّا

---

[٢٤] هو ولي الدين عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن خلدون المالكي، المولود سنة ٧٣٢ هـ فى تونس، ونشأ فيها، وكانت فى ذلك الحين تموج بأفواجٍ من العلماء نزحوا إليها من الأندلس بعد أن اضطربت أمورها، وتلقي ثقافته الأولي على يد والدهِ، وحفظ القرآن الكريم، ووعى كثيرًا من أصول اللغةِ والآداب والنحو، وأجادَ الأصول والفقه على مذهب الإمام مالك، وقرأ فى التفسير والحديث، وتعمق فى الدراسات الفلسفيَّة والمنطق والتاريخ، وغيرها.

[٢٥] مقدمة ابن خلدون (ص١٧ وما بعدهَا).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

باختلاف الأسلوب بينَ كاتب وكاتب، ويتروح بينَ الركاكة والإجادة (بِمَا يطرأ على العصورِ من رُقي أو انحطاط).

لكن ابن خلدون أنشأ مِنَ التاريخ (عِلْمًا) يغوص فى أعماقِهِ، ويُحلل أحداثه، ويسبر أغواره، ولا يكتفى فيهِ بالسردِ المجرد.

يقولُ رحمه الله: «أنشأتُ فى التاريخِ كتابًا وفصلته فى الأخبارِ والاعتبار، بابًا بابًا، وأبديت فيه لأوَّلِيَّة الدول والعمران عِللاً وأسبابًا، وهذبت مناحيهِ تهذيبًا، وسلكتُ فى ترتيبِهِ وتبويبِهِ مسلكًا غريبًا، وطريقة مبتدعَة وأسلوبًا، وشرحتُ فيهِ من أحوالِ العمران والتمدن، وما يعرض فى الاجتماعِ الإنسانيّ مِنَ العوارض الذاتيَّة ما يمتعكَ بعلل الكوائن وأسبابها»[٢٦].

كَمَا يركز على أَنَّ التاريخ يجب أَلَّا يفهم أو يُؤخذ على ظاهِرِهِ فقط، بحيثُ لا يزيد على مجرد النقل، وتسجيل الظواهر، بل يجب أَن يفهم التاريخ مِن باطنه أيضًا.

---

[٢٦] المقدمة – (ص١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيقول رحمه الله: «التاريخ فى ظاهره لا يزيد على أخبار الأيَّام والدول والسوابق مِنَ القرون الأول، وفى باطِنهِ نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم[٢٧] بكيفيَّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل فى الحكمةِ عريق وجدير بِأنْ يُعد فى علومها خليق»[٢٨].

---

[٢٧] وقد اختلفَ العلماء فى تفسير مقصد ابن خلدون بكلمة (علم) التى تكررت كثيرًا فى مقدمتهِ، فرأي بعضهم أنَّه كانَ يقصد بِهَا العلم كما نفهمه نحن اليوم (نظرًا ودرسًا واستقراءً واستنباطًا)، ورأي بعضهم أنَّه مَا كانَ ليخطر على بال ابن خلدون مثل هذا المعني للعلم، وأنَّ كل ما كان يقصده: العلم بمعني المعرفة العامة.

والحاصل أنَّ أصحاب الرأي الأول نظروا إلى ما صاحب ابن خلدون من تفسير للعلمِ، وما اقترنَ بِهِ مِنْ ألفاظ عَن التعليل والكيفيَّة، فلم يستكثروا عليهِ أنْ يكون قد فطنَ إلى مدلول العلم بأوسع نطاقِهِ، ونظر أصحاب الرأي الثاني إلى ظاهر اللفظ دونَ سواه، واستكثروا على ابن خلدون أنْ يُنشئ عِلْمًا أو يستنبط منهجًا. وكانَ من أصحاب الرأي الأول: المستشرقانِ: دي سيلان، وجورج سارتون. وقد ترجمَ دي سيلان مقدمة ابن خلدون، فنقلَ كلمة (علم) بمفهومها العلمي الحديث، وتحدَّثَ عنه جورج سارتون فى كتابه "مدخل لتاريخ العلم" فقال: (إنَّه مِنَ المدهش أن يكونَ ابن خلدون قد توصَّل فى تفكيرِهِ إلى مَا يُسمي اليوم بطريقة البحث العلمي). أمَّا أصحاب الرأي الثاني فقد كانَ منهم: الدكتور طه حسين، الذي رأى أنَّ دي سيلان [وغيره] قد أخطأ فى ترجمة كلمة (علم) عندَ ابن خلدون وأنَّه أسرفَ فى إعطائها مفهوم العلم فى العصور الحديثة، وأنَّ ابن خلدونَ لم يكن يقصد بِهَا سوي مفهوم المعرفة العامة.

انظر: ابن خلدون مقنن التاريخ ومؤسس علم الإجتماع – عزت مُحَمَّد إبراهيم (ص٩٠ مجلة الوعى الإسلامي العدد [١١٥] ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م).

[٢٨] المقدمة (ص٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَإذا نظرنَا إلى التاريخ باعتبارهِ مجرد حوادث تتعاقب دونَ ما يربط بينها، فإنَّ هذه النظرة تؤدّى إلى نتائج مغايرة لتلكَ النتائج التى تنتج عَن نظرنَا إليْهِ حينما تعتبره سيرًا مضطردًا تترتب فيهِ الحوادث ترتيبًا منطقيًّا، كما تترتب الأسباب عن مسبباتها، فإنَّ النظرة الأولي تؤدّى إلى تسجيل مَا يطرأ من حوادث فى أنفسنَا ومذكراتنا عَلَى أنَّه من حكم القضاء والقدر، ولا يسعه أمامه سوي الإذعَان ومسايرة الظروف، أو كما يعبر البعض عنه بـ (الاستسلام للواقع).

فهذه النظر تجعلنا نطأطئ الرؤوس أمام الأحداث؛ لأنَّ جهلنا بأسبابها ونتائجها يؤدّى بِنَا إلى أن نحنى لثقلها ظهورنَا، فإذا ما وضعتها عَن ظهورنا يد الموت؛ ألقتها على كاهل الأجيال مِنْ بعدنَا.

أمَّا نظرتنا الثانيَّة إليهِ، فإنَّه بدلاً من أنْ تلقى على أكتافنا ثقل الأحداث تجعلنَا نحدد إيذاءها مسؤوليتنا، فبقدرِ مَا ندرك من أسبابها ونقيسها بمقياس صحيح نرى فيها منبهات لإرادتنا وموجهات لنشاطنا، وبقدرِ مَا نكشف من أسرارها نسيطر عليها بدلاً من أن تسيطر علينا، فنوجهها نحنُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا توجهنا هى؛ لأننا حينئذ نعلم أنَّ الأسباب التاريخيَّة كلها تصدر عن سلوكنا وتنبع من أنفسنا[٢٩] ومن إرادتنا فى تغيير الأشياء تغييرًا يحدد وظيفتنا الإجتماعيَّة كما رسمها القرآنُ الكريم.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمعروف فى أعم صوره، والمنكر فى أشمل معانيهِ، يكونانِ جوهر الأحداث التى تواجهنا يوميًّا، كما يكونانِ لب التاريخ.

وعلى ذلك، فابن خلدون دلَّلَ فى هذه القضيَّة على بصيرة فائقة وعبقريَّة خارقة، إذ ابتدعَ طريقة جديدة فى درس التاريخ وتفسيرهِ، طريقة لم يقدّر أهميتهَا علماء الغرب إلَّا بعد مرور ستة قرونٍ منذ ابتداعِ ابن خلدونَ لها[٣٠] فى كتابه [العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر]، وقد تعرَّضَ ابن خلدون

---

[٢٩] تأملات – مالك بن نبي (ص١٢٦).

[٣٠] المرجع السابق (ص٨٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فى هذا الكتاب إلى موضوعات هذا العلم، ودرس ظواهرها، وحَلَّلَ أسبابها بدقة وموضوعيَّة[٣١].

فهو يدرس ظواهر الشعوب التى عاشَ بينَ ظهرانيها، وعرف حقائقهَا، وخبرَ أحوالها، ثمَّ يوازن بينَها وبينَ ما عرف من أشباهها ونظائرهَا من بطون الكتب وسرد التاريخ؛ ليصل من ذلك إلى معرفة مَا تخضع لَهُ الظواهر من قوانين.

إنَّه يعتبر بحقٍّ أوَّل المؤرخين المسلمين القدامي والمعاصرين فى تطبيقِ منهج البحث العلميّ فى الكتابة عن فلسفةِ التاريخ، حيث نظرَ إلى التاريخ نظرة شاملة، وابتكرَ من دراسات المؤرخين السابقين عليهِ آراء جديدة فى التاريخ قائمة على النقد والتحليل والتعليل، حيثُ يقول: «واعلم أَنَّ الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث، وأوي إليهِ الغوث، وهو علم مستنبط النشأة، ولعمري لَم أقف على الكلام فى منحاة لأحدٍ

---

[٣١] لم يكن للنَّاس قبل ابن خلدون عناية بربط الأسباب بمسبباتها فيما يتعلق بظواهر العمران والإجتماع وتقنين القوانين لَهَا، وإنَّمَا كانَ عندهم مجرد ظواهر لا تخضع لقانون، ولا ترتبط بعلَّةٍ ولا يتقدمها سبب يؤدّى إلى نتيجة. كما لم يكن للنَّاسِ قبلَ ابن خلدون عناية بربط الأسباب بمسبباتها فيما يتعلّق بالجغرافيا وعلم الحياة والرياضة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنَ الخليقةِ. ما أدري ألغفلتهم عَن ذلك؟ أو لعلَّهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه، ولم يصل إلينا؟ فالعلوم كثيرة، والحكماء متعددونَ، ومَا لم يَصل إلينا من العلوم أكثر مِمَّا وصلَ، فأين علوم العرب والكلدانيين والسريانيين وأهل بابل، وما ظهرَ عليهم من آثارهم ونتائجها؟ وأينَ علوم القبط ومن قبلهم؟ وإنَّمَا وصلَ إلينَا علوم أمة واحدة وهم يونان خاصة، لكلف المأمون العباسيّ بإخراجها من لغتهم. ولم نقف على شيءٍ من علومِ غيرهم»[٣٢].

وابن خلدون إذ يمهد السبيل لعلمٍ جديد وهو (علم فلسفة التاريخ) بمنهجه الجديد، لا يُشير إلَّا لمسائلِهِ الكُبري، ولا ينوه بموضوعهِ ومنهجهِ إلّا بالإجمالِ، وهو يرجو أنْ يأتى مَنْ بعدَهُ فيواصلوا أبحاثه ويظهروا مسائل جديدة معتمدينَ على الفكر الصحيح والعلم المبين، قائلاً فى ختام مقدمتهِ عن التاريخ: «وقد استوفينا من مسائلهِ ما حسبناه كفاية، ولعلَّ من يأتي بعدنَا مما يؤيده الله بفكرٍ صحيحٍ وعلم مبينٍ يغوص من مسائله أكثرَ مِمَّا كتبناَ، فليسَ على مستنبط الفن إحصاء مسائلهِ، وإنَّما عليهِ تعيين موضوع العلم وتنويع فصولِه مما

[٣٢] المقدمة – (ص٣٤ – ٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتكلم فيهِ، والمتأخرون يلحقونَ المسائل من بعدهِ شيئًا فشيئًا إلي أنْ يكمل»[٣٣].

وهكذا أصبحت الدراسة التاريخيَّة دراسة تخصصيَّة، تنحى عنها الفقيه والمفسر والمحدث، وتركوها لمؤلفين أشمل رؤيَّة وأعمق تحليلًا وأقدر على فهم الظواهر البيئيَّة والإجتماعيَّة التى تتميز بِها الأقاليم الإسلاميَّة المختلفة بضوابط منهجيَّة علميَّة.

ضوابط المؤرخ فى تعامله معَ الأحداث التاريخيَّة:

يجب على المؤرخ فى دراستهِ للأحداث التاريخيَّة الانضباط بالضوابط المنهجيَّة التى تعصمه مِنَ الزللِ الذى أصابَ كثيرًا من المؤرخينَ القدامي والمعاصرين، ومنها:

١) سعة الثقافة.

٢) الربط بين الحوادث ارتباط العلة بالمعلول والماضي بالحاضر.

٣) قياس الغائب بالشاهِدِ.

٤) عدم الإعتماد على مجرد النقلِ دونَ تحليلٍ.

---

[٣٣] المقدمة – (ص٣٦٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥) الإلمام بقواعد السياسة والعمران فى المجتمع الإنسانيّ.

وقد عبَّرَ ابن خلدونَ عن هذا كُلِّهِ، بقولهِ: «إنَّ المؤرخ محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت، يقضى بصاحبه إلى الحقِّ، ويبتعد بِهِ عَن المزلّات والمغالِط؛ لأنَّ الأخبار إذا اعتمدَ فيهَا على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة والعمران والأحوال فى الإجتمعِ الإنسانيّ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهبِ، فربما لم يؤمن فيهَا مِنَ العثور ومزلّة القدم، والحيد عَن جادة الصدق، وكثيرًا مَا وقعَ للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًا أو سمينًا، ولم يعرضوهَا على أصولها، ولا قاسوا بأشباهها، ولا سيروها بمعيارِ الحكمة، والوقوف على حقائق الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبارِ، فضلُّوا عَنْ الحقِّ، وتاهوا فى بيداءِ الوهم والغلط، كما يحتاج المؤرخ إلى العلمِ بقواعد السياسة، وحقائق الموجودات، واختلاف الأمم والبقاعِ والأعصار فى السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومماثلة مَا بينه وبينَ الغائب مِن الوفاق، أو بون مَا بينهم مِنَ الخِلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدولِ فى الملك، ومبادئ ظهورهَا وأسباب حدوثهاَ ودواعى كونها، وأحوال القائمين بِهَا، وأخبارهم، حتَّى يكون مستوعبًا لأسباب كُل خبره. وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على صحة مَا عنده من القواعد والأصولِ، فإنْ وافقهَا وجري على مقتضاها= كان صحيحًا، وإلَّا= زيفه، واستغنى عنه»[٣٤].

وعلى هذا، فالتاريخ ليسَ مجرد ماضٍ انتهي، بل هو جزءٌ من نهر حياتهم الذى تتدافع بينَ شُطآنِهِ أمواج التقدّم أو التخلّف، فيكاد الماضى ينسكب فى الحاضر، ويكاد الحاضر ينصهر بينَ معبري الماضي والمستقبل.

وعلى هذا أيضًا، يتأكد أنَّ مجتمع المسلمينَ ليسَ مجتمعًا مستقبليًّا مُطلقًا سائِحًا فى الرؤي والأحلام، ولا مجتمعًا حاضريًّا مطلقًا غارقًا فيما حوله من آمالٍ وآلامٍ، ولا مجتمعًا ماضويًّا مطلقًا يحن إلى الماضي ويريد أن يرجعه كما كان، وإنَّمَا هو مجتمع يعيش فى توائم بينَ الماضي والحاضر والمستقبل.

---

[٣٤] المقدمة (ص١٧ : ٢٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تتفاعل فيهِ قوي الجميع فى ذاتِهِ بإدْرَاكٍ متزنٍ صحيحٍ، وشعورٍ يقظٍ دقيق، فيكون من أثر هذا التفاعل العلمي مجتمع عريق، وهذا مَا يجعل المسلمين أشد اهتمامًا بالتاريخِ من غيرهم.

ومن هنا احتلَّ التاريخ مكانةً مرموقة مِنَ الثقافة الإسلاميَّة سواء فى التكوين الثقافيّ للمسلم، أم فى الحياةِ الإجتماعيَّة والأدب، أم فى النشاطات السياسيَّة. حيث إنَّ فلسفة التاريخ عندَ المسلمين تعني بربطِ التاريخ بجميع ظواهرِهِ السائدة فى البيئة الإسلاميَّة فى كُلٍّ واحدٍ متسقٍ. فيشعرونَ بالتاريخِ شعورًا حيويًّا فاعِلاً (لأنهم يصنعون التاريخ)، أمَّا غير المسلمين (خاصة الماركسيين واليونانيين) فيشعرونَ أنَّ التاريخ هو الذى يصنعهم ويصنع نشاطهم الفكري والسياسي والإجتماعي والاقتصاديّ.

وعلى هذا، فليس التاريخ أحداثًا متلاحقة عشوائيَّة، أو شروطًا وأسبابًا، أو اندفاعاتٍ أو ماضيًّا عابرًا. بل إنَّ التاريخ تصنعه المشاريع البشريَّة والأهداف الجزئيَّة المرحليَّة، كما تصنعه نداءات الله وإنذاراته الغاضبة، كما يصنعه الإيمانِ. ذاك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هو التاريخ بشمولِهِ وكليتهِ؛ لأنَّ الإنسان هو الإنسان، وهو على ما هو عليهِ[٣٥].

موقف ابن خلدون من المؤرخين السابقين:

اطَّلَع ابن خلدونَ على مؤلفات المؤرخين السابقين ومناهجهم، فوجدها تشتمل على الكثيرِ من الأمور المبالغِ فيها، والتى تحتاج إلى تمحيصٍ وإعادة نظرٍ، كماَ وجَدَ فيها كثيرًا مِنَ الأخطاء التى تحتاج إلى تصحيحٍ، وقد عبَّرَ عَنْ هذا بقولِهِ: «إنَّ فحولَ المؤرخين فى الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيَّامِ وجمعوها وسطروها فى صحائف الدفاتِر، وأوعوها وخلطَها المتطفلونَ بدسائس من الباطلِ وهموا فيها وابتدعوهَا، وزخارف منَ الرواياتِ الضعيفة لفقرها ووضعوها، واقتفي تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوهَا وأدوها إلينا كما سمعوهَا، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوالِ ولم يراعوهَا، ولا رفضوا ترهات الأحاديثِ ولا دفعوهَا، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح-فى الغالب- كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار

[٣٥] ما يعد به الإسلام – جارودي (ص٢١) طبعة دار العروبة – دمشق ١٩٨٣م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخليل، والبصيرة تنقد الصحيح إذ تمقل[٣٦]، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل، والناقد البصير قسطاس نفسهِ فى تزيفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم»[٣٧].

ثم أخذَ يوضح أمثلة لذلك كله كالتهويلِ فى إحصاء الأعداد من الأموالِ والعساكر إذا عرضت الحكايات إذ هى مظنّة الكذب، ومطيَّة الهذر، ولا بُدَّ من ردِّهَا إلى الأصولِ، وعرضها على القواعد. وهذا كما فعل المسعودي وكثير من المؤرخين غيره فى جيوش بني إسرائيل[٣٨].

وكالبعدِ عَنْ الواقعيَّة والإغراق فى الخيالِ والأوهام والمبالغاتِ الأسطوريَّة التى لا تستند إلى عقلٍ أو منطقٍ، ولا يؤيدهَا الواقع المشاهَد.

وظلَّ يعدد الكثير من النماذج التى أخطأ فيها المؤرخون حتَّى قالَ: «لقد كدنا أن نخرج عن غرض الكتاب بالاطنابِ فى هذه المغالط، فقد زلّت أقدام كثير من الأثبات

---

[٣٦] يعني تنظر. من مقله مقلاً: نظرَ إليهِ (راجع المعجم الوسيط ج٢ص٨٨٠).

[٣٧] المقدمة (ص١٣ – ١٤).

[٣٨] المقدمة (ص١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمؤرخين الحفاظ فى مثل هذه الأحاديثِ والآراءِ، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر، والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضًا كذلكَ من غيرِ بحثٍ ولاَ رويَّةٍ، واندرجت فى محفوظاتهم حتَّى صارَ فن التاريخ واهيًا مختلَطًا، وناظره مرتبكًا، وعد من مناحى العامة»[٣٩].

ولَمَّا طَالَع كتب السابقين-وهى على هذا النحو- أخذَ يُناقشهم فيما ذهبوا إليهِ من مزاعم، وما ارتكبوه من أخطاء ومغالط، ويفند أسباب أخطائهم ومغالطهم، ويضع القواعد التى تعصم المؤرخين من هذا كله.

أسباب أخطاء المؤرخين السابقين (فى نظر ابن خلدون):

ويري العلَّامة ابن خلدون أنَّ الأسباب التى أدت بالمؤرخينَ إلى مَا ارتكبوه من أخطاءٍ تاريخيَّةٍ كثيرة، ومنها[٤٠]:

أولاً: التشيع للآراءِ والمذاهب. فالنفس إنْ كانت على حالةٍ منَ الاعتدالِ فى قبول الأخبار أعطتها حقها من التمحيصِ والنظر، حتَّى تتبينَ صدقها من كذبهاَ، وأمَّا إذا

---

[٣٩] المقدمة – (ص٢٧ – ٢٨).

[٤٠] المقدمة – (ص ٣٣ – ٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامرهَا تشيع لرأيٍّ أو نِحلة= قبلت مَا يوافقها من الأخبارِ لأوَّلِ وهْلَةٍ، وكانَ ذلكَ الميل والتشيع غطاءً على عين بصيرتها عن الانتقادِ والتمحيص، فتقع فى قبولِ الكذبِ ونقلِهِ.

وما دامَ التشيع للآراءِ والمذاهب يفعل بالمؤرخ هذا= يجب عليهِ التخلص والتجرد منه، ولا يجعل للهوي سلطانًا عليهِ، فيتصف بالحَيْدَةِ والموضوعيَّة والتجرد، ويكون الحق رائِدًا له أينما كانَ.

ثانيًا: عمق الثقة بالناقلين، وعدم التمييز بينَ الصادق منهم والكاذب؛ يوقع المؤرخ فى الأخطاء والمغالطِ.

وَلِذَا يرى العلَّامة ابن خلدون ضرورة تحرّى الدِّقة فيمن ينقل عنه المؤرخ، على الطريقة التى اتبعها المحدثون فى قبول المرويات، فإنْ كانَ المنقول عنه صادقًا أمينًا= قُبِل خبره، وإلَّا= رُدَّ الخبر، كما ينصح المؤرخين ألَّا يستخدموا هذه القواعد (الحديثيَّة) حتَّى يعلموا أنَّ ذلكَ الخبر فى نفسِهِ ممكن أو ممتنع، أمَّا إنْ كان مستحيلًا، فلا فائدة للنظر في قواعد المحدثين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا: عدم الاهتمام بأهداف الأحداث والذهول عَن المقاصد. فكثيرٌ منَ الإخباريين لا يعرف القصد بِمَا عاين أو سمع، وينقل الخبر على مَا فى ظنِّهِ أو تخمينه، فيقع في الكذب والخطأ.

ولِذا يجب على المؤرخ أنْ يكونَ بصيرًا بأهدافِ الخبر الذى ينقله، قديرًا على تفسيره تفسيرًا واقعيًّا.

رابعًا: الجهل بتطبيقِ الأحوال على الوقائع لسبب ما يداخلها من التدليسِ والتصنع. فينقلهَا المخبر كما رآها وهى بالتصنع على غيرِ الحق فى نفسهِ وما ذاكَ إلَّا لأنَّ كثيرًا مِنَ الأخبارِ لا يدلُ ظاهرهَا على باطنها (كالحديث بما يُسمي الشفرة أو الخِدع السياسيَّة، فينقلها المؤرخ على ظاهرها، وهو لا يعرف باطنها؛ فيقع فى الخطأ والغلَطِ).

خامسًا: التزلف لأصحاب المناصب بالثناءِ، والمدحِ، وتحسين الأحوال، وإشاعة ذكرها تستفيض الأخبار بِهَا على غير حقيقة. جلبًا للمنفعة ودفعًا للمضرة، فتجسم الحسنات ويبالغ فيها، ويتغاضى عَن السيئاتِ، وربما تختَلق القصص

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأساطير رفعًا لشأنِ ذوي التجلة والسلطانِ، فينقل المؤرخ مثل هذا فيقع في الخطأ والغلط.

سادسًا: الجهل بحقائق الأحوال فى الإعمار.

فكل حادث لا بُدَّ لَهُ من حقيقة تخصه فى ذاتِه، وفيما يعرض لَه من أحوالٍ، فإذا كان السامع عارفًا بحقائق الحوادث والأحوال فى الوجود؛ أعانَه ذلكَ فى تمحيصِ الخبر وتمييز الغث من السمين، وهذا أبلغ فى التمحيص من كل وجهٍ يعرض، فمعرفة حقائق العمران هو أحسن الوجوه وأوْثقها فى تمحيصِ الأخبار، وهو سابق على التمحيصِ بتعديلِ الرواةِ.

وبهذا وضعَ العلَّامة ابن خلدون الأصول الثابتة والقواعد الراسخة التى يُقام عليها علم التاريخ، بعد أنْ كانَ قائمًا على الأوهامِ والأساطيرِ.

فابن خلدون يعتبر -بحقٍّ- واضع المنهج التاريخي فى صورةٍ مميزة عَمَّا كان عليهِ سلفه من المؤرخين المسلمين، وبصورةٍ مؤثّرةٍ على من جاءَ بعدَه -خاصة الغربيينَ-، وهو الذى نبَّهَ الأذهان إلى عدم الوقوف عند حدود النقلِ، أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عدم تعارض النقل مع العقل فحسب، بل استحثَّ الآخرين أن يتوسعوا فى ذلكَ.

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

التحديات التى تواجه

التاريخ الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد ابتلي التاريخ الإسلاميّ بكثيرٍ منَ التحدّياتِ التي حاولت تشويهه وطمس معالمه الصحيحة الحقيقية. ذلكَ لأنَّ أعداء الإسلام وتاريخه يعرفونَ جيدًا مدي قدرة التاريخ الإسلاميّ علي العطاءِ وبناء الأجيالِ. كما يعرفونَ أثره فى تكوين النفسيَّة الإسلاميَّة والوجدان الحر الكريم. ولذلكَ فهم يرغبونَ فى طمس هذه الوحدة حتَّى لا يكون التاريخ عاملاً فى بناءِ الأمة الإسلاميَّة من جديدٍ(٤١).

ولذا فإنَّ اليهودَ –أساتذة المكر والخداع والتمويه والتهويل والتضليل– قد ركّزوا كثيرًا علي التاريخِ احتواءً وتشويهًا خاصةً فى المناهجِ التعليميَّة التي حرصوا منذ وقتٍ مبكرٍ عَلَى احتوائها وتوجيهها؛ تنفيذًا لأغراضهم العدوانيَّة.

وهذه الشواهد الصارخة من بروتوكلاتهم خير دليلٍ علي ذلك:

فقد جاء فى "البروتوكول ١٦": سنتقدّم بدراسة مشكلات المستقبل بدلًا من الكلاسيكياتِ، وبدراسة التاريخ

(٤١) انظر: محاكمة فكر طه حسين. للأستاذ/ أنور الجندي (ص٢٠٣) – بتصرف يسير– طبعة دار الاعتصام بمصر ١٩٨٤م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القديم الذي يشتمل علي أمثلةٍ سيئة أكثر من اشتمالهِ علي أمثلةٍ حسنة. وسنطمس ذاكرة إنسانِ العصور الماضية التي قد تكون شؤمًا علينا، ولا نترك الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات فى ألوانٍ قاتمة[٤٢].

وجاءَ فى "البروتوكول ١٤": سنوجه عناية خاصة إلي الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التي عذبت الإنسانيَّة خلال قرونٍ طويلة جدًّا لعجزٍ فى فهمها لأي شيءٍ يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانيَّة[٤٣].

أي إنَّ اليهود سيدرسونِ للشبابِ صفحاتِ التاريخ السوداء؛ ليعرفوهم أنَّ الشعوب عندما كانت محكومة بالنّظم القديمة؛ كانت حياتها سيئة، ولا يدرسونَ لهم الفترات التي سعدت فيها الشعوب؛ لإقناعهم أنَّ النظام (الصهيوني) الجديد أفضل من القديم (الإسلاميّ).

---

[٤٢] بروتوكلات حكماء بني صهيون – شوقى عبدالناصر (ص١٥٨) طبعة دار التعاون بمصر (بلا تاريخ طباعة).

[٤٣] المصدر السابق (ص١٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهذا كانت عناية اليهود مركزة بصفة أدق وأشمل علي التاريخِ الإسلاميِّ، بقصد تشويه حقائقهِ أو طمسها، وإلَّا فاختلاقها وإلصاقها به سهل يسير علي أصحابِ المكرِ والدهاء.

ولهذا، فقد خصصت الصهيونية العالمية مؤتمر "بلتيمور" –فى الولايات المتحدة الأمريكيَّة– من أجل تزييف التاريخ الإسلاميّ، وإثارة الجدل حول قضايا الشعوبية والباطنية وتوظيف بعض المواقف الهدّامة فى التاريخ؛ لإضفاءِ مصطلحات عصريَّة عليها، كما فعلت فى وصفها لحركة القرامطة بأنَّها تمثل حركة العدل الإجتماعيّ، وحركة الزنج التي استغلّها دعاة التفسير المادي[٤٤] وابرزوها فى ثوبِ حركة ثوريَّة تقدميَّة، وغيرها كثير.

وقد نجح الأعداء من الصهاينة الأعداء والصليبيين الحاقدينَ فى كثيرٍ مما أرادوهُ ودبَّرواْ لَهُ –إلي حَدٍّ ما– فتشوهت بعض معالم ديننا وحضارتنا فى أذهانِ كثيرٍ من الشباب (والمثقفين)، وصاروا يشككونَ فى مجدِ آبائهم وأجدادهم،

[٤٤] وهم يهود؛ لأنَّ جدهم "ماركس" كان يهوديًّا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويطعنونَ فى قدرتهم العقليَّة أو الفكريَّة، ويهزأونَ بمنجزاتهم الحضاريَّة(!).

بل الأدهي والأمرُّ أن نجدَ فلولًا من المثقفينَ تتصور جيل السلف الصالح عبارة عن رعاة حفاة عراة لا يُجيدونَ إلا الجري وراء لقمة العيشِ ويصطادونها اصطيادًا بعرقِ الجبينِ تارة، وبحدِّ السيفِ بطشًا وعدوانًا تارات كثيرة أخري(!).

وهذه الصور الوحشية التي تكونت لدي البعض ما هي إلَّا نتيجة مسخ أعجمي لتاريخنا.وخلاصة تشويه جاهلي لحضارتنا الإسلاميَّة الزاهرة. وقد ساعدَ علي ذلكَ إعجاب المخدوعينَ بزخارفِ مدنيات الغرب والمناهج التحليليَّة المصطنعَة[٤٥].

ولذلكَ حينما زار المستشرق الفرنسي شارل بيلا إحدي البلاد العربيَّة الإسلاميَّة سأله صحفي (عربي مسلم): ماذا تقرأ؛ الأدب العربيّ القديم أم الحديث؟ فأجابَ: "القديم وحده". فقالَ له الصحفي: ولماذا لا تقرأ الأدب العربي

---

[٤٥] راجع: ثقافة المسلم –دراسة منهجية برامجية، د/عبدالحميد بوزونيه، (ص١١٤) طبعة مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولي ١٩٨٩م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث؟ فأجابه: "لأنَّه أدب غربي مكتوب بحروف عربية"[٤٦].

فهذه الرؤية الصادقة من هذا المستشرق الفرنسي تصلح تعبيرًا ووصفًا دقيقًا لتلك المحاولاتِ التي يقوم بها أصحاب الفكر المستنير، ويقدمونها للنَّاسِ(!) وذلكَ لأنَّه فى حقيقتهِ فكر غربي المنشأ والمضمون، ولكنه مصاغ بألْفاظٍ عربيّة منتقاة، ثم يجعلونه حكما علي الفكر الإسلاميَّ، والتاريخ الإسلاميّ والحصارة الإسلاميَّة. فينطلق الباحث من ثقافتهِ الغربيَّة ويحاول إسقاطها علي الإسلامِ وحضارتهِ ودراسة مفكريهِ. (أي إنَّه يحكم من خلال خصوصية نمط حضاريّ علي نمطٍ آخر يختلف عنه اختلافًا جذريًّا، وهذا قطعًا يقود إلي الخطأ فى النتائج التي يصل إليها[٤٧]).

والوقائع موجودة فى تاريخنا الإسلامي بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية. فمن يُطالع هذه الوقائع بعمقٍ وتأمل ودراسة وبحثٍ يجد أنَّ المد والجزر، والنصر والهزيمة، والازدهار

---

[٤٦] الغزو الفكري وموقفنا منه، أ.د/ مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي، (ص١١٨) مجلة الأزهر الشريف ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

[٤٧] انظر: المذهبيَّة الإسلاميَّة والتغير الحضاري، د/ محسن عبدالحميد (ص١٤٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والذبول، والغني والفقر، والتقدم والتخلف، كل ذلك مرتبط بمقدار صلة الأمة بالإسلامِ أو انفصالها عنه، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها.

وحسبنا فى ذلك أنَّ نظرة إلي عصر الخلفاء الراشدين أو الخليفة المصلح المجدد عمر بن عبدالعزيز أو عصر العلم عصر هارون الرشيد، أو عصر نور الدين، أو عصر صلاح الدين ترينا إمَّا تمسكًا بالدين أو رجعة إليهِ، فنري –بهذه النظرة الفاحصة– ثمار التمسك والرجعة= عزًّا وازدهارًا، والعكس بالعكس فى فتراتٍ أخري حالكة فى تاريخنا. نسأل الله أن يرد لهذه الأمة مجدها وعزَّها! آمين!

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الرابع:

شهادات المنصفينَ لجهود المسلمين فى فلسفة التاريخ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد كشفَ الكثيرونَ مِنَ المفكرين المنصفين زيف الدعاوى التى يُراد من خِلالها تشويه الإسلام وتاريخه، وأعلام المسلمين وجهودهم، وبينوا أنَّها دعاوى خبيثة مأجورة لا تمتُ إلي الواقعِ بأدنى صلة.

يقول الدكتور عمر فروخ[٤٨]: "إنَّه من دواعى الأسف أن يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون أنفسهم، ولكن الذى يؤسف له حقًا أنْ يقومَ بعض الشرقيين بالحَطِّ من قدر ابن خلدون بعدَ أنْ جهدَ الغربيونَ أنفسهم كل الجدهد فى نشرِ فضائلِهِ وإظهارها".

لقد اعترفَ الباحثونَ الغربيونَ المنصفون بسبق ابن خلدون فى وضع أسس فلسفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد، مع أنَّ بينهم وبينه ستة قرونٍ كاملة –تقريبًا– حيثُ أكدوا أنَّ آرائه لَم تكن مجرد جمعٍ لمعارف متنوعة، ولكنها جاءت كعمل منظم مرتب ينطبق عليه لفظ (العلم) فى معناهُ الدقيق.

---

[٤٨] وهو عالم سوري، له كثير من الأنشطة فى مجالِ الدعوة الإسلامية، وقد اشتهرَ بكتابهِ "التبشير والاستعمار".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول المستشرق "أيف لاكوست" فى كتابٍ له عن ابن خلدون: "إنَّ المهم أنْ يكون قد صدر عن ابن خلدون فى القرن ١٤م تصور للتاريخ لا يزال يحتفظ إلي يومنا هذا بطابعه العلميِّ".

ويقول المفكر الأسبانيّ "التاميرا" فى كتابهِ "تاريخ أسبانيا والحضارة الأسبانية": "يكفي ابن خلدون عظمة أن يكتب مقدمة تاريخه فى القرن ١٤م حين كانت الدراسات التاريخية غاية فى النقص والبعد عَن الموضوعيَّة، وأن يدرس فى مقدمته كل المسائل التي غدت فيما بعد أهم ما يشغل المؤرخين المحدثين".

ثمَّ يصف مقدمة ابن خلدون بقوله: "إنَّها مُؤَلَّف فى الاجتماعِ والفلسفةِ التاريخيَّة لم يَفُقْهُ حتَّى يومنا هذا أي مُؤَلَّف آخر"[٤٩].

ويقول المستشرق الايطاليّ "استيفانو كولوزيو": "إنَّ هذا المؤرخ العربي العظيم ابن خلدون اكتشفَ مبادئ العدالة

---

[٤٩] انظر: ابن خلدون مقنن التاريخ ومؤسس علم الاجتماع، عزت مُحَمَّد إبراهيم (ص٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاجتماعية والاقتصاد السياسيّ، قبلَ ماركس[٥٠] بعدَّةِ قرونٍ، وأنَّ ما يعزوه من شأنٍ كبير إلي دور العمل والأجرة الملكية يجعله إمامًا لاقتصاديي هذا العصر"[٥١].

ويقول المستشرق البريطانيّ الفيلسوف والمؤرخ "أرنولد توينبي"[٥٢]: "إنَّ ابن خلدون فى المقدمة التي كتبها لتاريخه العام قد أدركَ وأنشأ فلسفة التاريخ، وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه أبدعه أي عقل بشري فى أي زمانٍ ومكانٍ".

---

[٥٠] كارل ماركس، كانَ فيلسوفًا ألمانيًّا سياسيًا وصحفيًّا ومنظّرًا اجتماعيًّا، ولدَ بمدينة (ترير) فى ولاية (رينانيا) الألمانية سنة ١٨١٨م وهو صاحب مقولة: "الدين= أفيون الشعوب؛ لأنَّ الدين لا يشجع الفكر الحر الذى ينتج بل يبقيهم كالمخدرين دونَ طموحٍ للتقدّمِ والتغيير"، وقد توفي فى ١٤مارس١٨٨٣م ودفنَ فى مقبرة (هاي غيت) بلندن.

[٥١] انظر: ابن خلدون مقنن التاريخ ومؤسس علم الاجتماع، عزت مُحَمَّد إبراهيم (ص٨٧).

[٥٢] أرنولد جوزيف توينبي، ولد فى ١٤إبريل١٨٨٩م فى لندن ، وتوفي في ٢٢أكتوبر ١٩٧٥م، وأهم أعماله: "دراسة التاريخ"، وكان من أشهر المؤرخين فى القرنِ العشرين، وعمل مديرًا لدائرة الدراسات فى وزارة الخارجية البريطانيَّة حتَّى وفاتهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول "جورج سارتون"[٥٣]: "إنَّه لمنَ المدهشِ أن يكون ابن خلدون قد توصل فى تفكيرِهِ إلي اصطناعِ ما يسمي اليوم بطريقة البحثِ التاريخيّ، وأسمي العصر الذي سبق العصور الحديثة فى العالم كله عصر ابن خلدون"[٥٤].

ويقول المستشرق "دي بور"[٥٥] عَن دور المؤرخين السابقين علي ابن خلدون ومنهجهِ: "إنَّ الأوائل لم يوفوا المشكلة التاريخية حقها من الدرسِ العميق، فلقد أورثونا مؤلفات تاريخية ضخمة جديرة بمكان بين الآثار الفنيَّة، لكنهم لم يورثونا التاريخ علْمًا مِنَ العلومِ يقوم علي أساسٍ فلْسفيٍّ، ثم جاء ابن خلدون فكانَ أوَّل مَنْ حاولَ أن يربط بينَ تطور الاجتماعِ الانساني وبينَ علله القريبة، معَ حسن الادراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيَّدَة بالأدلَّةِ المقنعةِ، فهو ينظر فى

---

[٥٣] جورج ألفريد ليون سارتون، صيدلي ومؤرخ بلجيكيّ، يعتبر مؤسس علم تاريخ العلوم، ولد بمدينة (خنت) ببلجيكا، فى ٣١أغسطس١٨٨٤م، وكانت له محاضرات عديدة عن فضل العرب علي الفكر الإنساني، وكان موته فى ٢٢مارس١٩٥٦م.

[٥٤] انظر: ابن خلدون مقنن التاريخ ومؤسس علم الاجتماع، عزت مُحَمَّد إبراهيم (ص٨٧ – ٨٨).

[٥٥] دي بور، مستشرق هولندي من أساتذة الفلسفة فى جامعة أمستردام، له كثير من الكتب والمؤلفات منها: "تاريخ الفلسفة فى الاسلام"، "الغزالي"، "ابن رشد"، وقد عاشَ فى الفترة ما بينَ ١٨٦٦م إلي ١٩٤٢م [راجع المستشرقونَ ج٢ ص٣١٧].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تاريخ أحوال الجنس والهواء ووجوهِ الكسبِ ونحوها ويعرضها مع بيان تأثيرها فى التكوين الجنسيّ والعقليّ فى الفرد والمجتمعِ"[٥٦].

وعلي هذا، يكون التاريخ خاضعًا لأفكار كُتابه وميولهم ونزعاتهم ونحلهم، يميل معها حيثُ تميل، ويعتدل معها حين تعتدل، يرفعون من يشاؤن ويخفضون من يريدون، وينطقون من يحبون، ويسكتون من يكرهون، ويفلسفونَ الأخطاء أحيانًا، ويعظمون الحسناتِ أحيانًا أخري، ولا يُطلب من أحدهم أي سندٍ أو وثيقةٍ أو دليل فى غالب الأحوالِ[٥٧].

وإذا كانَ ابن خلدون قد صدرَ عنه هذا التصور العلمي لفلسفة التاريخ بشهادة هؤلاءِ المنصفين من أبناء الغرب، فإنَّه قد وضعَ أساساً لعلمٍ جديد كل الجدة، ذلك هو "علم الاجتماع" وهو مدار بحثهِ فى كتابه "العبر وديوان المبتدأ

---

[٥٦] انظر: تاريخ الفلسفة فى الإسلام. دي بور. تحقيق: مُحَمَّد عبدالهادي أبو ريدة (ص٤١٠) الطبعة الخامسة – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (بلا تاريخ).

[٥٧] انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د/ توفيق يوسف الواعي، ص٨٦ – ٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي يعده هو نفسه علمًا مستقلًا قائمًا بذاتِهِ، وموضوعه "العمران البشريّ والاجتماع الإنسانيّ".

وهكذا كانت مباحث ابن خلدون فى علم الاجتماعِ سابقة ومتقدمة علي تفكير عصرِه، فلم يتابعه أحد من المفكرين فى آرائهِ أو يستمد منها آراء جديدة تعمل علي إنمائها وذيوعها، فتوقفت حيثُ هي، وظلت مجهولة من الباحثينَ علي مدي قرونٍ من الزمانِ فى الشرقِ والغربِ علي السواءِ، فلم يكد يعرف الغرب عنه شيئًا إلَّا فى أوائل القرن ١٩م. حيثُ نشر المستشرق الفرنسي "دي ساسي"[٥٨] ترجمة لابن خلدون مع ترجمة لبعضِ أجزاء من المقدمة.

وأعقب ترجمة "دي ساسي" مَا قامَ به "كاترمير"[٥٩] من نشر المقدمة كاملة بنصها العربي فى منتصف القرن ١٩م.

---

[٥٨] أنطوان إسحاق سلفستر دي ساسي، (١٧٥٨ – ١٨٣٨مـ) مستشرق فرنسي، لقب بشيخ المستشرقين الفرنسيين، درس اليونانية واللاتينية ثم العربية والعبرية، كما أتقن عدَّةِ لغاتٍ أوربية.

[٥٩] أتيين مارك كاترمير، (١٧٨٢ – ١٨٥٧مـ) مستشرق فرنسيّ، اهتم بالتاريخ الإسلامي، وبنشر العديد من المخطوطات العربية، كما ترجم بعض كتابات تقي الدين المقريزي ورشيد فضل الله الهمذاني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قامَ "دي سلان"[٦٠] بترجمة كاملة لها باللغةِ الفرنسيَّةِ.

ومنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام الحقيقي بابن خلدون، وبالتاريخ الإسلامي.

وهكذا، أجمعَ المنصفونَ من الشرق والغرب علي أنَّ ابن خلدون هو مؤسس علم التاريخ ومقنن علم الاجتماعِ، مما جعلَ للتاريخِ مكانةً مرموقة فى الثقافة الإسلاميَّة، ينبغي أنْ يهتم بها أبناء الإسلام فى كل زمانٍ ومكانٍ.

وَآخر دعوانا أَن الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين. وصلى اللَّهمَّ وسلَّمَ وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّد، وعلي آله وصحبه والتابعين، وعلينا معهم برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ.. آمينَ!

---

(٦٠) ماك جوكان دي سلان، وشهرته البارون دي سلان، (١٨٠١ – ١٨٧٩م) مستشرق فرنسي، من أصل إيرلندي، تتلمذ علي يدي دي ساسي، ومن تلاميذهِ جان فرانسوا شامبليون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المبحث الأول: مفهوم التاريخ وفوائده	٧
المطلب الأول: مفهوم التاريخ	٨
المطلب الثاني: فوائد التاريخ	١٤
المبحث الثاني: بداية التاريخ الإسلامي ومدي اهتمام المسلمين بفلسفة التاريخ	١٦
المطلب الأول: بداية التاريخ الإسلامي	١٧
المطلب الثاني: اهتمام المسلمين بفلسفة التاريخ الإسلامي	٢٢
المطلب الثالث: جهود المؤرخين المسلمين فى فلسفة التاريخ	٢٤
المبحث الثالث: التحدّيات التي تواجه التاريخ الإسلامي	٤٤
المبحث الرابع: شهادات المنصفين لجهود المسلمين فى فلسفة التاريخ	٥١
فهرس الموضوعات	٥٩

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في